الشرق الأوسط
جريدة العرب الدولية

الفنان العراقي نديم الكوفي كيميائي في شخصية عطار : لوحاتي للاعمى والبصير

الجمعة 30 ذو القعدة 1424 هـ 23 يناير 2004 العدد 9187
جريدة الشرق الاوسط
الصفحة: سينما

امستردام: علي المندلاوي

بوسطن، نيويورك، بيروت ثلاث محطات لثلاثة معارض اختتم بها الفنان العراقي نديم كوفي عام 2003.

وفي المعارض الثلاثة قام الكوفي بوظيفة «ساعي البريد» حسب تعبيره، وهي الثيمة التي تدور حولها سلسلة من اعماله التي يشتغل عليها حاليا ايضا.

فكرة واسلوب، وتقنية اللوحات التي يشتغل عليها حملت من الاثارة والتجديد ما دفع أستوديو الفن (ترانغل آرت رزدنسي) في نيويورك الى دعوته خلال شهري ابريل (نيسان) ومايو (أيار) من هذا العام للاقامة والعمل على حسابها، وتتويج بحوثه العملية بمعرض يقام على قاعتها.

وهو نفس السبب الذي دفعني الى اقتطاع بعض من وقت اجازتي الشخصية في هولندا، للتعرف على تجربة هذا الفنان ومحاورته خصيصا لـ «الشرق الأوسط».

ولدى زيارته في مدينة امرسفورد بوسط هولندا حيث يقيم، كانت المفاجأة ان لا مرسم او مشغل خاص للكوفي، فهو يقتطع زاوية صغيرة من مطبخ شقته ليفرش على طاولة فيها معاجين الورق ومساحيق اللون التي يشكل الحناء والشاي جزءا اساسيا منها، بالاضافة الى كومبيوتر يعتبر برامجه امتدادا لمشغله منذ سنين طويلة.

ـ «اطلق على نفسي لقب «الامير الفقير» قال الكوفي، ثم اضاف «وفي نيويورك وجدت فهما اكبر لما اعمل، فحين تحدثوا عن لوحاتي كانوا يؤكدون على كلمة Minmalist وتعني «المقل» وهي كلمة منسوبة الى «الفن الفقير» الذي يعود الى اتجاه مهم في الفنون البصرية الحديثة عرف بالتقشف في استعمال المواد Poor Art.

وهناك في اميركا فوجئت بأن النقاد والجمهور واعون تماما بما اعمل، ولم يسألني احد عن الماضي، كان السؤال: ما هي الخطوة المقبلة؟! هذا السؤال صار المحرك الذي يدفعني لانجاز الافكار التي تدور بحيوية في ذهني وابرزها ثيمة «ساعي البريد» التي حققتها في سلسلة مترابطة من اعمال للمعارض الثلاثة في الولايات المتحدة ولبنان.

وعن سؤال حول مفهومه لفكرة «ساعي البريد» التي يشتغل عليها، اجاب: هو السعي الى نقل فكرة من منطقة الخيال الى منطقة الواقع، باشتراط وجود الثقة، فانا اتساءل: هل انا جدير بنقل هذه الرسالة او الوصف الى الناظرين؟

والناظرون كما افهمهم اصناف، فهناك الناظر الاعمى وهناك الناظر المجتهد وهناك ناظر يرى وينسى.

ألتقي كل هذه النماذج في معارضي، فأقترب من الناظر المجتهد وادخل معه في حوار، هذا الحوار يلهمني في العادة، وأصل معه الى نتائج، فالمسألة عندي ليست معرضا يقام ولوحات تعلق وجمهورا يعجب ويقتني.. انا ضد الاستحسان.

ويتابع الكوفي، فيقول: يترك ساعي البريد الرسالة عند الباب ويغادر، فهو اذن يحمل صفة الملاك! وما عملته من خلال لوحاتي هو تجميع مختبري لاكياس فيها رسائل دفينة ادعو ناظر لوحاتي الى فتحها.

اذكر هنا بفليم رائع للمخرج الاميركي «سبيلبرج» بعنوان «الحقل الارجواني» كان الزوج الطاغية في الفيلم يخبيء الرسائل الخاصة بزوجته، حتى لا تعي ما يدور حولها، ويوما ما وجدت الزوجة الرسائل، هذا هو الكنز، ومن هذا المنطلق ابدأ في عمل رسائل مغلقة تحمل في طياتها مفاجآت.

هذا ينطبق على الناس ايضا، فكثير منهم يفارقون الحياة، وهم مغلقون، فيكون للصدفة دور في العثور على تركاتهم التي لا تخلو من اسرار تكشف خلاف ما كانوا عليه في حياتهم.

* تحدثت عن تجميع مختبري في بريد لوحاتك، هل انت رسام ام كيميائي؟! ـ في بيروت اشاروا الى اني كيميائي، لكني ارى ان في داخلي شخصية عطار. اثارت هذه الشخصية فضولي منذ الطفولة، انه شخص موجود في وجدان الناس، ووظيفته توفير مستلزماتهم الضرورية باسلوب نظام تشغيل، ونظام حفظ مثل الكومبيوتر تماما.

ومثل العطار اصنع ارشيفي من المفردات المتكررة، المتلاحقة وفق نظام تشغيل دينامكي، فمن الضروري ان اعثر على ما اريد ببساطة فطرية.

العطار يحضر الاشياء بالسليقة وبسرعة فائقة وهو ما افعله في عملي الفني.

اللوحة عندي مثل دكان العطار فيها مجموعة من البذور، واذا تعمقت في شكلها وتاريخها تجد ان البذور هي الحكمة المتوارثة التي تزرع دائما للمستقبل.

* الملاحظ ان اوروبا تركت آثارا قوية عليك، وعلى فنك، هل يمكن تفسير ذلك؟

ـ بدأت الصدمة بوصولي الى فرنسا عام 1995 لاقامة معرض في مدينة «لاروشيل» الجنوبية.

اكتشفت وقتها ان الطباعة الصقيلة خدعتنا، لاننا رأينا في المجلات والكتب الاوروبية فردوسا لم نجده في الواقع، وهناك وجدت اني لست الوحيد الذي تخيل اوروبا كالفردوس، فالمهاجرون من شدة هلعهم من واقعهم البائس يرسمون في خيالاتهم صورا اكثر بهجة وعدالة من الواقع، وحين يصلون الى مكان الخيال تتهشم تلك الصور. هذا ما حدث معي ومع الكل.

هذه الصدمة ادت بي الى صحوة خاصمت على اثرها الرسم، وبدأت ارى ان الطبيعة تملك القوة الجمالية الكاملة، واننا نحن الرسامين لسنا سوى عابثين بأذيالها، ففقدت اليقين بجدوى الرسم، واعتقد ان للعقلية الهولندية العملية (أقيم في هولندا منذ عام 1995) تأثيرا عميقا في دفعي الى تلك المنطقة، فكان ان اهملت الرسم واندفعت الى دراسة طويلة للتصميم. وفي هذه الدراسة وجدت جوهر تجربتي الحالية مع البصر بعد ملل طويل مع الرسم.

* لكنك كنت ترسم وتشتغل بالسيراميك والجرافيك وانجزت الكثير من الاعمال الفنية المتنوعة الاخرى تجسدت في معارض فردية ومشتركة؟

ـ كان هذا احد الحلول لتجنب الملل، ومع هذا هناك من يجابهني بحقيقة اني لست رساما؟ ففي بيروت واثناء اقامة معرضي في قاعة «اجيال» جابهني صاحب القاعة «صالح بركات» بذلك، وعندما طلبت منه تفسيرا لرؤيته هذه عني قال: «انت تغسل القماش بالحبر واحيانا تخلع ما لصقته عليه من خامات، ثم تحتال على الاصماغ والمساحيق وكأنك في مختبر ولا احد يراقبك في احاييلك هذه! انت فهمت اسرار المواد، وفعالياتها وعمرها مثل اي كيميائي، لكنك تعبث بموازينها، مما يولد جمالا من نوع خاص، جمالا معجونا بالشك، جمالا يخلق تفاعلات اجتماعية مع الناظرين مما يجعلهم يترددون على الصورة لغرض الاستيعاب وليس الاعجاب، وهو ما اكده الناقد فاروق يوسف في تقديمه لاحد معارض الفنان الكوفي حين قال «هذا الرسام لا يرسم الا لوحات قابلة باستمرار على ان تنتج تأثيرات مختلفة باختلاف النزعة التأويلية لدى المتلقي الذي يقف امامها، فهي لا تطرح حلولا جمالية نهائية، وهي اصلا لا تحتكم الى ذائقة موجودة سلفا، فهذا الرسام الذي يقترح اشكالا هي اقرب ما تكون الى الاشكال الهندسية المتهدمة ليعبئها بقوة وجود مستلهمة من خياله يشعر بالراحة، وهو يرى المشاهد يمارس دوره الانتاجي ولا يكتفي بقابليته على الاستهلاك».

بقي ان نذكر انه بالاضافة الى اعتكاف الكوفي على التحضير لمعرضه في نيويورك، فإنه يشتغل على خمس عشرة نسخة لكتاب يدوي اتفق على رسمه لقصائد بعنوان «كونشرتو» لأدونيس وقد تعرض لوحاته في معرض خاص يقام في باريس.

كما شيد مجلة افتراضية خاصة بالفعالية البصرية. ولمن يروم الزيارة، فان عنوانها على الانترنت هو: www.daftar.nl